هل القداس طويل؟
الأحد 1 كانون الأول ٢٠١٣ العدد 48

كثيرا ما نسمع هذا السؤال في أوساطنا: لماذا لا تقصّرون القداس الذي يطول ثلاث ساعات؟ الحقيقة ان القداس يبدأ من إعلان الكاهن: مباركة مملكة الآب والابن والروح القدس، وانه في إداء صحيح، لا يدوم أكثر من ساعة بما فيه العظة، وقد يمتد بضع دقائق لو كثرت المناولات. فإذا جاء الترتيل بلا إطالة مستهجنة بالتأدية المألوفة عندنا لا تستغرق الخدمة أكثر من ذلك. ولو حضر المؤمن صلاة السَحَر من أوّلها يكون رقم ثلاث ساعات أيضًا مبالغًا فيه.

طبعا هناك إصلاح للطقوس مرغوب فيه، لكن المشكلة ليست في الطول والقصر ولكنها في الفهم او عدمه. فالانتباه متعلق باستيعابنا للخدمة الإلهية ونحن لا نستوعبها لأننا لم ندرسها ولم نطّلع على تفسيرها. فإذا أدركنا المعاني إدراكًا جيدًا لا يظهر الزمان لنا ممدودًا بلا نهاية. ان نصل الى المعنى ونستحبه هذا هو المطلوب. والوصول الى لب الصلاة يفترض مسبقًا تحصيل التعليم المسيحي الذي بُنيت عليه الخدمة. كذلك فهم الرسالة والإنجيل تسبقه مطالعة للعهد الجديد في البيت. اذ ذاك تأتي القراءتان تذكيرا بما نحن نعرف، فلا نتيه عن المعنى لو ضاعت بعض الكلمات في التنغيم. واذا كشف لنا الترتيم عقيدة من عقائد الإيمان تكون أذهاننا مؤتلفة مع هذه العقيدة.

شرح القداس أساسي حتى نفهم تتابع أجزائه واتصالها ببعضها. فإذا أنت وقفت على هيكلية النص لا يمكن ان تضجر كما لو كنت غير واع لهذه الهيكلية. ففي حالة جهلك للبنية كلها تحس بتراكم الكلمات والأناشيد والأفاشين فيتعبك التراكم. ولكن اذا عرفت الارتباط بين هذه الأقسام يسوقك كل جزء الى الجزء الآخر فتتكامل البناية عند الختام وتحس انك أدركت النهاية بانسجام.

ولذلك لا بد أن تسعى الى تلك الكتب او النشرات او الحلقات التي تشرح لك القداس الإلهي، ونحن نحاول مع المحاولين لنجعل هذا بمتناول يدك. ولعلنا فاعلون هذا في "رعيتي".

غير ان الصعوبة الكبرى التي نحاول ان نذللها آتية من ان القداس لا يمكنك تحمّله ما لم تكن انسانا مصليا خارج القداس. فإذا قمت على صلاتك صباح مساء واعيًا، خاشعًا، تقودك صلاتك الفردية هذه الى صلاة الجماعة. دعاؤك في بيتك والشارع والسيارة يحملك الى الكنيسة التي هي ملتقى الداعين والمدعوين باسم الرب. النفس تميل الى المسيح في تعابيره. والقداس هو التعبير الأسمى عن السيد.

التق المعلم الإلهي في كل يوم تلقه صباح الأحد ايضًا بين أصحابه في بيعته. اذا كنتَ مع يسوع في عشرة طيبة على الدوام كيف تتجاهله اذا ظهر لك في أطيب ظهور له اي في الذبيحة؟

واذا انكشف لك سر المودة بينك وبينه وتراءى لك ان تحيا مع المسيح عشقًا لا يوصف، يبطل كل سؤال عن طول الوقت وقصره. اذا كنت من الذين يلتمسون وجهه لتحيا به، تندم على قلة الوقت ويزول كل بحث في الأوقات.